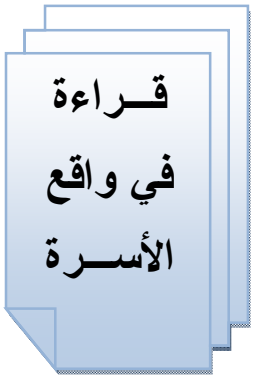


د.أنيسة بريغت عسوس

# العنف الأســري كأسلوب تربـــوي و أثره على سلوك الطفل و شخصيته

**تنظم** الأسرة سلوكات الطفل ليخضع للقواعد والأنماط الاجتماعية التي تحدد له المسالك الصحيحة التي تتحكم في سلوكه لتجعل منه فردا صالحا في المجتمع. تمارس الأسرة عملية الضبط الاجتماعي من خلال عملية التنشئة الاجتماعية. ففي الأسرة يتم بناء الذات الذي هو جانب من الشخصية التي تنمو خلال عملية التنشئة الاجتماعية. حيث تكون شخصية الطفل عرضة للتعديل المستمر نتيجة لاكتسابه السلوك الاجتماعي المرغوب فيه وذلك تبعا لنوع الضبط الاجتماعي الذي تمارسه الأسرة. فهناك الضبط الاجتماعي الايجابي والضبط الاجتماعي السلبي.

فالضبط الاجتماعي الايجابي يكون عن طريق تقمص الطفل الشخصية السوية المعتدلة التي تلتزم الهدوء في البيت وتستخدم أسلوب الاتصال في التعامل مع الأطفال. في حين يعتمد الضبط الاجتماعي السلبي على العقاب والتهديد بالعقاب أو الرغبة في الصراخ و إثارة الهلع والفزع في كل أرجاء البيت. ومن ثم يكون تأثير الأسرة لضبط سلوك الطفل عن طريق الأساليب التربوية من خلال الثواب والعقاب فضلا عن تدريبه وتلقينه التراث الاجتماعي.

إن وجود تناقضات في نظام القيم والمعايير الاجتماعية المتمثلة في ترعرع الطفل في جو متسلط يغيب فيه مبدأ الحوار الهادئ وتأثير الثقافة السائدة في المجتمع الذي يسمح بالتشدد في التعامل مع الأطفال واستخدام العقاب المعنوي والجسدي يساعد على إحداث اضطراب في نفس الطفل. وتكون نتيجة ذلك، الانعزالية والاغتراب وفقدان الثقة بالذات إلى حد الانفعال الحاد والعدوانية. ونتيجة لذلك الشعور، فان هذا الطفل سوف يعتبر نفسه أقل جاذبية، وذكاء وكفاءة من أقرانه.

فباستخدام العقاب الجسدي، لا يعتقد الأولياء في الجزائر بأنهم يمارسون ما يسمى بسوء معاملة الأطفال ضد أبنائهم الذين يرون أنهم يستحقون العقاب نتيجة وقوعهم في الخطأ فحسب، بل إنهم يعتقدون بيقين أن العقاب الجسدي له فائدة لكونه جزءا أساسيا من الأساليب التربوية الفعالة. دون إعارة أي اهتمام إلى الآثار التي يخلفها هذا الأخير على شخصية الطفل وسلوكه في المستقبل. يستخدم الآباء العنف في تربيه الأطفال لغرضين أساسيين:

1- لتعليم الأطفال الأخلاق الحميدة والتحكم في تربيتهم عند فشلهم في تلقي الرسائل التربوية شفهيا.

2- لتعليمهم التحلي بالانضباط والطاعة عند فشلهم في تربيتهم بالاعتماد على طرق أخرى مثل الاتصال والنقاش والحوار.

كما يلجأ الكثير من الآباء في تربية أبنائهم إلى التقويم من جهة والنهي من جهة أخرى والضرب كوسيلة ثالثة إن استدعى الأمر ذلك حتى يضمنوا استقامة أبنائهم، متجاهلين ضرر هذا الأسلوب على نمو و شخصية الطفل، ناهيك عن تسببهم في خلق جيل يتصف بالعنف. ومنه نستنتج أن الضرب في الصغر يؤدي إلى الإصابة بأمراض نفسية و إدمان في الكبر.

**I- <u>تحديد المفاهيم</u>:**

يعرف الدكتور مصطفى عمر التير العنف بأنه " الاستعمال غير القانوني لوسائل القسر المادي و البدني ابتغاء لتحقيق غايات شخصية أو جماعية على أنه في جوانبه النفسية يحمل معنى التوتر و الانفجار تسهم في تأجيجها داخل الفرد أو الجماعة عوامل كثيرة.... ". (1)

ولا تقتصر صورة العنف على الضرب و الأذى الجسدي فقط، بل هناك صور عديدة للعنف تؤدي إلى النتيجة ذاتها المتمثلة في:

أولا: زعزعة أمن و تهديد استقرار الأسرة.

ثانيا : إلحاق الضرر النفسي و الجسدي بالطفل . ويتخذ هذا الضرر أشكالا عدة منها:

* العنف الجسدي: و يتمثل في الضرب المبرح والمتكرر لأتفه الأسباب دون مراعاة أيا من الجوانب الشرعية أو الإنسانية.

*العنف النفسي: وذلك بممارسة ضغوط نفسية و الإهانة و التحقير الدائمين، أو التهديد بالحرمان من المصروف وشراء الملابس.

* العنف العاطفي: و يتمثل في تصحر المشاعر و جفاف العواطف و القسوة في المعاملة في مواضع المحبة و التعاطف، والحرمان من الكلمة الطيبة و العشرة اللطيفة.

* العنف التعسفي: و ذلك بالمنع من الحقوق و الحاجات كالحرمان من زيارة الأصدقاء لاسيما الجيران، أو بالحبس و الحكم بعدم الخروج نهائيا من البيت، أو الحرمان من الوظيفة أو الدراسة، أو بالاستيلاء على راتب الطفل العامل.

* العنف غير المباشر على الطفل:

عن طريق إثارة الذعر و الخوف في أرجاء المنزل بالصراخ و الغضب لأتفه الأسباب، و بتحطيم الأواني أو بضرب الأبناء على مرأى و مسمع من الضيف أو الجار أو أي شخص غريب بهدف استفزاز و إثارة الطفل.

وبما أن العقاب الجسدي وسوء المعاملة والقتل والضرب من الأمور الشائعة داخل الأسرة، فإنه من الأهمية بمكان التطرق إلى مدى انتشارها.

**1- <u>العقاب الجسدي</u>:**

لنبدأ بهذا الجانب المتعلق باستعمال القوة الجسدية داخل الأسرة لأنه قد يكون الأكثر انتشارا. حيث تشير مختلف الدراسات التي أجريت في الولايات المتحدة وبريطانيا (Blumberg, 1964-65; Bronfenbrenner, 1958, Erlanger, 1974; Stark and Mc Evoy, 1970) بأن بين 48% و 9% من مجموع الوالدين يستخدمون العقاب الجسدي في مرحلة من مراحل حياة الطفل. وكذلك، وعلى عكس ما يمكن تكهنه، فإن العقاب الجسدي يستمر بالنسبة لمعظم الأطفال حتى سن المراهقة. فلقد وجدت دراسة (Bachman, 1967) التي أجريت حول عينة كبيرة من تلاميذ المرحلة المتوسطة، بأن 61% منهم تعرضوا للصفع. أما الدراسات التي قام بها كل من (Steinmetz, 1971- 1974) و (Strauss,1971)فقد وجدت أن هذا السلوك التربوي كذلك ينطبق حتى على تلامذة نهاية المرحلة الثانوية.

حيث لوحظ أن حوالي نصف التلاميذ في كل العينات الثلاث التي شملتها الدراسات، كانوا قد تعرضوا للضرب أو التهديد باستخدامه وذلك خلال عامهم الأخير للمرحلة الثانوية.

يختلف العقاب الجسدي عن أنواع العنف الأخرى وذلك للأسباب التالية:

أنه مقبول من قبل المجتمع وكذلك لأنه عبارة عن حافز غيري أو إيثاري (Altruistic). ورغم ذلك، فإنه يعد عنفا عندما يستخدم بنية استخدام القوة الجسدية لإحداث الألم. وفي أوجه عدة، فإن له نفس النتائج التي تسفر عنها أشكال العنف الأخرى مهما كانت نية القائم به حسنة.

فعلى سبيل المثال، فإن الدراسات التي تناولت العقاب الجسدي توضح أن الآباء الذين يستخدمون العقاب الجسدي للتحكم في عدوانية أبنائهم، لوحظ أنه يزيد في ميولهم العدوانية أكثر مما يساهم في انخفاضها (Bandura, 1973; Eron & al, 1971. Owens and Strauss, 1975; Sears & al, 1957).

وعلى العموم، هناك أسباب للاعتقاد بأن العنف يولد العنف، مهما كان الحافز سلميا وغيريا ( إيثار يا) . وبالإضافة إلى آثاره الممكنة على تدريب الأطفال على استخدام العنف، فإن استخدام الآباء للعقاب الجسدي يمكن أن يسهل العمل الأساسي لتحويل عملية استخدام القوة إلى النقطة التي يمكن اعتبارها سوء معاملة الأطفال (Child abuse).

**2- سوء معاملة الأطفال:**

تشير التقديرات حول حدوث سوء معاملة الأطفال في الولايات المتحدة من 6000 حالة في السنة ( Gil, 1970: 60 ) لتصل إلى مليون حالة (New York Time, 1975). وتتأثر هذه التقديرات بعوامل كثيرة مما يجعل استخدام هذه البيانات أو تأويلها من الصعوبة بمكان (Gelles, 1975 b). إلا أن التقديرات المحافظة حول سوء معاملة الأطفال تشير إلى حدوث ما بين 200000 و 500000 حالة في السنة في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها(Light, 1974).

أما في الجزائر، فليس هناك أي بيانات رسمية يمكن الاعتماد عليها نظرا لعدم التصريح بهذا النوع من العنف الأسري. وهذا يرجع إلى قلة البحوث، إن لم نقل ندرتها في هذا المجال، وعدم وجود مؤسسات أو جمعيات لمناهضة هذا النوع من العنف الممارس ضد الأطفال.

**3- القتل:**

القتل هو أحد أوجه العنف الأسري الذي يوجد حوله بيانات عالمية. حيث يرى كل من (Steinmetz and Strauss, 1974) إن ذلك صحيح لأن هذا النوع من العنف الأسري هو جريمة تترك دلائل جسدية لا يمكن تجاهلها بنفس الطريقة التي من خلالها جعل التحيز المعياري للمجتمع كلا من عامة الناس والباحثين يتجاهلون الأشكال الأخرى للعنف الأسري في السابق.

ويمكن استقاء مؤشر بياني يدل على مدى انتشار القتل الأسري حيث تقدر الدراسات أن ما بين 20% و 40% من جرائم القتل في الولايات المتحدة تتعلق بالعلاقة الأسرية. ولا تقتصر هذه النسبة العالية التي تمثل القتل داخل الأسرة على الولايات المتحدة فقط (Curtis, 1974). فعلى سبيل المثال، فإن المجتمعات الأفريقية التي درسها (Bohannan, 1960: 243) أظهرت وجود ما بين 22% إلى 63% جريمة أسرية. وقد وصلت النسبة حوالي 67% من العينة المتعلقة بالدانمرك.

**4- الضرب: Assault:**

وبالرجوع إلى العنف غير المميت بين الزوج والزوجة، فإن المصدر الذي يمكن الرجوع إليه لمعرفة مدى انتشار ذلك هو البيانات التي تحتويها مراكز الشرطة. وكما أن الأقارب يمثلون أكبر فئة تتعرض للقتل، فإن المشاجرات الأسرية هي أكبر فئة ترد بخصوصها المكالمات الهاتفية للشرطية في الولايات المتحدة الأمريكية.

حيث يصرح الباحث الشرعي (Parnas, 1967: 914) بأن المكالمات الهاتفية التي تأتي للشرطة بخصوص الصراعات الأسرية تفوق بكثير الحوادث الجنائية، بما في ذلك جرائم القتل، والاغتصاب والاعتداءات غير الأسرية، والسرقات، والخطف.

و تظهر 22% من حالات القتل من التحريات الشرطية في المشكلات الزوجية أو الآباء والأبناء (Parnas, 1967). حيث بلغت نسبة الضرب الخطر بين الأزواج والزوجات نسبا مرتفعة.

وفي مسح اجتماعي أجري لصالح اللجنة الوطنية حول أسباب العنف والوقاية منها بهدف التعرف على أنواع العنف التي لا يرى أفراد المجتمع مانعا من ممارستها (Stark and Mc Evoy, National Commission on the causes and Prevention of Violence, 1970) ، تبين بأن واحد من أربع رجال، وامرأة من كل ست نساء يقبلون صفع المرأة في ظروف معينة. وكذلك يمكن للمرأة صفع الرجل. كما أن 26% من الرجال و 19% من النساء يتفقون مع هذا الرأي. وبطبيعة الحال فإن البعض من الذين يوافقون على الصفع لا يقومون بهذا السلوك أبدا ، وبعض من الذين لا يوافقون قد يقومون بعملية الصفع أو أكثر من ذلك.

وقد توصلت سلسلة دراسات (Richard J. Gelles and Murray A. Strauss)إلى أن هناك تكرار في ممارسة العنف داخل الأسرة. ففي أحد الدراسات التي قام بها (Gelles, 1974) والتي اعتمدت على المقابلات المعمقة لـــ 80 أسرة، تبين بأن 56 % من الأزواج استخدموا القوة الجسدية مع بعضهم في وقت من الأوقات.

وبالنسبة لـــ 20% من هذه الـــ 80 أسرة، فإن حدوث العنف بين الزوج والزوجة هو شيء عاد ومألوف ( أي بمعدل أكثر من 6 مرات في السنة).

وفي دراسة استكشافية حول طلاب وطالبات جامعة نيوهمشر (New Hamshire)، أجاب الطلاب على الأسئلة المطروحة حول الصراعات التي تحدث داخل أسرهم خلال سنتيهم الأخيرة في التعليم الثانوي. حيث اشتمل الاستبيان على أسئلة حول ما إذا كان والدا المشاركين في الصراع قد ضربا بعضهما أو دفعا بعضهما أو رميا بعضهما بأشياء خلال النزاع. حيث أظهرت النتائج خلال ذلك العام أن 62% من طلاب القسم النهائي في الثانوي كانوا قد استخدموا القوة الجسدية ضد أخ أو أخت.

بعد التعرض للأمور الشائعة داخل الأسرة، هناك مفهوم آخر يستخدم في الدراسات النفسية يتمثل في "العدوانية" يمكن أن يكون مرادفا لمفهوم العنف. لذا يجدر بنا تسليط الضوء عليه لنقف على مدى اختلافه عن مفهوم العنف أو تطابقه معه، وكذلك مفهوم الشخصية والسلوك.

**1 - <u>الفرق بين العنف والعدوانية:</u>**

يعرف العنف بأنه " ذلك الفعل الذي يقوم به الإنسان بقصد إيقاع الألم الجسدي بشخص آخر" . و يشمل الألم الجسدي الألم الخفيف مثل ما يحدث في الصفع غير المؤدي إلى القتل. ويرجع سبب وجود قصد إحداث الألم إلى وجود عوامل كثيرة تمتد من القلق على أمن الطفل

( عندما يضرب لخروجه عن الطريق)، مما يجعل هذا الأخير يتمنى الموت للآخر. حيث يحتوي التعريف على العناصر التالية:
الفعل- القصد- الألم الجسدي. من الواضح أن هذا التعريف يركز على الألم الجسدي متجاهلا الآثار الأخرى التي قد يحدثها الفعل.

أما العدوانية: Aggression فهي مفهوم أكثر شمولا من مفهوم العنف. حيث تشير إلى أي فعل سيء النية مع قصد إحداث الألم للآخرين. حيث يمكن أن يكون الجرح عبارة عن ألم أو ضرر، ومن ثم يمكن تسميته عدوانية جسدية (Physical aggression) وهنا يكون مرادفا لمفهوم العنف.

وتتشابك أهم مصادر الخلط المتعلقة بمفهومي العدوانية والعنف مع الكثير من الهموم النظرية والأيديولوجية التي ليس لها بالضرورة علاقة بأي من المفهومين. حيث يستخدم مصطلح "عدوانية" للإشارة إلى الفعل الإرادي المضر أو المؤذي كما يشير إلى مستوى الدافع و تأكيد الذات أو السلوك الريادي (الاستكشافي). وهذه الأمور كلها عادة ما يكون لها نتائج مؤذية حتى وإن لم يمكن لهذه النتائج الاستجابة المنشودة للفعل.

والمشكلة المتعلقة بمفهوم "العنف" هو أنه عبارة عن " نعت" أو مفهوم سياسي بالإضافة إلى كونه مفهوما علميا. حيث يستخدم من قبل أعضاء السياسة اليسارية لوصف أي وجه من أوجه المجتمع التي يرفضونها.

**2- <u>مفهوم الشخصية</u>:**

تعني الشخصية كما حددها القاموس الجديد للطلاب كل الصفات التي تميز الشخص عن غيره.(2) والشخصية كما عرفها المعجم الفلسفي هي نظام متكامل من مجموعة الخصائص الجسمية والوجدانية، والنزوعية، والعقلية التي تعين هوية الفرد وتميزه عن غيره من الأفراد تمييزا بينا، وكما تبدو للناس أثناء التعامل اليومي الذي تقتضيه الحياة الاجتماعية.(3)

وللشخصية عند علماء النفس جانبان: أحدهما ذاتي، والآخر موضوعي. "فالجانب الذاتي هو الذي يعبر عنه الفرد بقوله "أنا" مشيرا بذلك إلى حياته العقلية، والعاطفية، والإدراكية، والإرادية، والجسمية من حيث هي موحدة ومستمرة.
أما الجانب الموضوعي فيتألف من مجموع ردود الفعل النفسية والاجتماعية التي يواجه بها الفرد بيئته".(4)

كما تعني الشخصية عند علماء الاجتماع الأمريكيين، ولا سيما جاردينر(Gardiner, 1949) "تشكل نفسي خاص بأفراد مجتمع معين يتجلى في نمط من الحياة ينسج الأفراد سلوكهم الجزئي على منواله المباشر. وعلى العكس، توجه سيكولوجية الشخصية معظم اهتماماتها إلى الصفات الثابتة داخل الفرد كالسمات والاستعدادات التي توجه أفعاله واستجاباته.(5)

كما تعرف الشخصية عند أجبرت وينكوف (O. winkoff) على أنها "التكامل النفسي والاجتماعي للسلوك عند الكائن الانسانى الذي تعبر عنه عادات

الفعل والشعور والاتجاهات والآراء والقيم وتشتمل أيضا على كل نواحي السلوك".(6)

ويرى أرنو لاجدين (Arnold Lagdin) "إن الإنسان لا يولد شخصا، بل أنه يولد مزودا بإمكانيات يمكن أن تجعله كذلك، فالإنسان يصبح شخصا للمؤثرات الاجتماعية التي تؤثر في كيانه".(7)

أما عند لند برج( Lundburg ) فتشير الشخصية إلى "العادات والاتجاهات والسمات الاجتماعية الأخرى التي تميز سلوك فرد معين وكذلك تدل الشخصية على أنساق السلوك التي تكتسب من خلال عمليات التعلم والتفاعل الاجتماعي.(8)

في حين تعني عند جوردون البورت (Gordon Allport) "ذلك التنظيم الديناميكي داخل الفرد لجميع المنظومة الجسمية والنفسية والذي يحدد الأساليب التي يتكيف بها الشخص مع البيئة".(9)

تتميز الشخصية حسب Lazarus بوظائف سيكولوجية الفرد كالإدراك، والتعلم، والتذكر، واللغة، والتفكير، والدوافع والانفعال. وهذه النظرة هي موضوع بحثنا حيث ينصب اهتمامنا على الاختلاف بين مفردات العينة نتيجة لاستجاباتهم للأسرة التي يعيشون فيها.

و قد تكون الشخصية "فردية(Individual)، أو جمعية(Collective)، أو حقيقية(Real)، أو معنوية(Moral)، وإذا أمتاز الفرد على غيره بقوة إرادته، أو أسلوبه، أو منصبه، قيل أنه ذو شخصية بارزة".(10)

نظر فرويد (Freud, 1949, 1961)للشخصية على أنها نظام ثلاثي يتألف من الهو"ID"، والأنا"Ego"، والأنا الأعلى"Superego". ولكل منها خصائصها الذاتية المميزة حيث يمثل الهو القوي الدافعة داخل الإنسان، والأنا الخصائص الضابطة. وأما الأنا الأعلى فيختص بالقيم الخلقية التي تستمد من الثقافة والأسرة، وهو الضمير.

وثمة صورة مختلفة قدمها Otto Runk (1952) ومن قبله Carl Jung (1916) الذي تخلى عن التقسيم الثلاثي للشخصية. حيث وضع مكانه "عنصري الإرادة (Will) والإرادة المضادة (Counter-will) اللتين هما في صراع دائم و خوف الإنسان من الانفصال Separation والخوف المضاد من فقد الهوية Identity. ويتمثل نتاج هذا الصراع في بزوغ الشخصية التي يمكن أن تندرج تحت أحد الأنماط الآتية "الشخص العادي" و"العصبي" و"الفنان".(11)

ويوجد العديد من الصفات المتعلقة بالذات، نذكر منها السمات والأنماط. حيث تحتوى كل لغة على عدد كبير من الصفات التي تحدد سمات الشخصية. فقد يوصف الفرد بأنه خجول، أوعدوانى،أو كسول، أوطموح، أوغيور إلى غير ذلك... والسمات في بحثنا تشير إلى تعبيرات ظاهرة كالعدوانية، أو الغضب، أو الحزن، أو تعبيرات سطحية كاحمرار وجه الطفل، أو غلقه الباب بقوة عند وجوده في موقف ما للتعبير عن استعداده للاستجابة بشعور ما .

وقد نظر البورت (Allport, 1937, 1961) إلى السمات باعتبارها الوحدة الطبيعية لوصف الشخصية. وأختصر كل من البورت(Allport) واو دبرت (Odbert, 1936) قائمة أسماء السمات إلى 4541 كلمة.

وقد أكد البورت الفكرة التي مفادها أن السمات هي خصائص متكاملة للشخص تشير إلى "خصائص نفسية عصبية واقعية تحدد كيفية سلوك الشخص. وقد ميز البورت بين سمات رئيسية أو مركزية تميز فردا عن آخر، وسمات ثانوية و هامشية وتكون قليلة الأهمية نسبيا في تحديد الشخص وأسلوب حياته".(12)

وقد أوضح كاتل يونج (Cattell, 1965) 10 سمات مركزية يعتقد أنها تفسر معظم عناصر سمات الشخصية الظاهرية الهامة:

- "المتكيف (المرن) مقابل الجامد الذي يرفض أي تغيير في أسلوبه.
- الانفعالي(سريع القابلية للاستثارة) مقابل الهادئ، المتزن.
- حي الضمير (أمين) مقابل عديم الضمير (المجرد إلى حد ما من المبادئ الأخلاقية).
- متمسك بالعرف أو القواعد المقبولة مقابل غير المبالي بالعرف أي غريب الأطوار.
- الميل إلي الغيرة مقابل غير الغيور.
- الحذر، المؤدب(يراعي حاجات الغير) مقابل المتهور، الفظ (متغطرس ولا يراعي مشاعر الآخرين).
- المستسلم(مهمل) مقابل المصمم (مثابر).
- رقيق (تسيره المشاعر) مقابل العنيد، الجامد وغير الودود.
- المتواضع أو الجدير بالاهتمام مقابل المغرور وكثير التباهي
- الوهن(بطيء) مقابل النشط (يقظ، فعال، حاسم وقوي)".(13)

أما الأنماط فهي أنظمة معقدة من السمات. وقد أدخل الفلاسفة الإغريق مثل أرسطو، وأفلاطون والطبيب اليوناني أبقراط أنماط الشخصية التي تستند إلى فكرة "توقف الأمزجة على توزيع سوائل معينة في الجسم.

وعلى الرغم من عدم قبول تفاصيل هذه الفكرة الآن، إلا أن جوهرها يشبه إلى حد بعيد المفهوم السائد حاليا وهو أن الخصائص المزاجية تتأثر بدرجة كبيرة بتوزيع هورمونات الجسم".(14)

حيث يرى أبقراط أن "الشخصية تتوقف على أي من ذي المزاج السريع الغضب أو الغضوب(Choleric)، أو السوداء صاحب الميلانخوليا (Melancholy)، والبلغم، صاحب الشخص الكسول، المتبلد(Phlegmatic). بينما صاحب الدم، الشخص المرح، النشيط أو الدموي(Sanguine)".(15)

وتتضمن نظرية كاتل يونج Young(1933) طوبولوجية قائمتين عريضتين-المنبسطة Extrovert وهو الذي يتجه أساسا نحو الآخرين. والمنطويIntrovert وهو الذي يكون أكثر اهتماما بنفسه.

ويقول Lazarus في هذا الصدد، أن الانبساط والانطواء يعبر عنهما الفرد "بعديد من الوظائف هي التفكير، والوجدان، والحس والحدس".(16)

أما فيما يتعلق باستخدام العنف كأسلوب للتربية الأسرية وردود فعل الطفل كنتيجة لذلك، فيكون هذا الأخير أمام ثلاثة خيارات هي:

- التوافق تماما مع الموقف. وهذا يدل على درجة عالية من النضج.
- مواجهة العنف بالتمرد والانحراف. وهذا يعني أن الطفل أصبح يحمل شخصية عنيفة.
- الانسحاب والتبلد. وهذا دليل على ضعف الشخصية.

وهناك الشخصية المتكاملة التي هي الشخصية القادرة على تحقيق التكييف العام للسلوك. بينما ازدواجية الشخصية، هي عبارة عن خلل عقلي مصحوب باضطراب الوعي، تتغير فيه الذات. حيث يصبح الفرد له شخصيتان متميزتان الأولى حسنة والثانية مرضية.

**3- <u>تعريف السلوك</u>:**

يعنى السلوك Behavior في بحثنا كل ما يقوم به الطفل من ردود أفعال ناشئة عن تأثير متبادل بينه وبين بيئته. و يتضمن الأفعال الجسمانية الظاهرة كالتمرد مثلا والعصيان والبكاء والأفعال الباطنية كالشعور بالاكتئاب والإحباط والرغبة في الانتقام.

لا تكفى الإشارة إلى التأثيرات البيئية لتفسير سلوكنا تفسيرا كاملا. فكل فرد يكون مزودا بخصائص مختلفة تؤثر في كيفية سلوكه. وكما رأينا، فإن السلوك جزء لا يتجزأ من الشخصية.

بعد تحديد المفاهيم الأساسية التي تضمنتها الدراسة، سوف نحاول في الفصل الثاني التطرق إلى المداخل النظرية التي تناولت موضوع العنف الأسري بالدراسة وكذلك النظريات التي تناولت موضوع نمو الشخصية عند الإنسان بصفة عامة والطفل بصفة خاصة، وذلك للإلمام بكل الجوانب النظرية والميدانية لموضوع "العنف الأسري كأسلوب تربوي وأثره على شخصية الطفل وسلوكه"

**II - <u>النظريات المفسرة للعنف</u>:**

المدخل الفردي حيث يفسر العنف حسب بعض خصائص الفرد الفاعل. أي تلك الخصائص البيولوجية مثل المورثات Genes والكروموزومات (Chromosomes) والخصائص المكتسبة (Acquired characteristicsمثل الشخصية العدوانية، أو العاهات الخلقية (Personal defects) ، والانحرافات (Aberrations).

- <u>النظرية السيكولوجية المرضية</u> التي ترى أن الأفراد يتميزون بالعنف بسبب بعض الانحرافات الداخلية لديهم مثل الشذوذ أو خلل خلقي. وهذه الخصائص تشمل عدم القدرة على التحكم في الذات(Inadequate self-control) ، والسادية (Sadism) ، أو ظهور نماذج من الشخصيات المرضية Psychopathic ( personality ) ونماذج من الأمراض العقلية. أن ما يعاب على هذا المنظور هو

أن تفسيراته النظرية لا يمكن اعتبارها دليلا علميا كاف لتعزيز (To support) النظرية وأن الخلط (Confusion) الذي ظهر بها هو نتيجة لعدم قدرتها على تفسير الخصائص الشاذة للشخصية التي لها علاقة بحدوث العنف بصفة كافية. كما يعاب عليها اعتبار القيام بأفعال العنف كمؤشرات لإصابة الفاعلين بالأمراض العقلية.

- نظرية الكحول والمخدرات التي ترى أن هذه المواد (الكحول والمخدرات) تقوم بفعل تنشيط الميول العنيفة الموجودة في الإنسان. حيث تزود عملية الشرب في حد ذاتها الأفراد بمبرر مناسب بالنسبة لسلوكهم العنيف. ومن هنا تصبح عملية الشرب وسيلة لـــ " للتنصل من مسئولية الانحراف".

من النظريات الاجتماعية السيكولوجية المعروفة، نظرية الإحباط والعدوانية، ونظرية التعلم الاجتماعي.

- نظرية الإحباط والعدوانية التي ترى أن السلوك العدواني ينتج عندما يعترض أحد النشاطات الهادفة عقبة. حيث تميل الأنظمة إلى توجيه عدوانيتها تجاه الأشياء التي تعيقها من الوصول إلى أهدافها المهمة، أو تحول (Displace)عدوانيتها إلى شيء أكثر أمان.

1- إن استخدام هذه النظرية يقتصر على الميل في التعبير عن العدوانية كاستجابة للانفعال الذي يشعر به الفرد عندما يكون الطريق إلى الهدف مسدودا.

2- أنه ينظر إلى الميل للعدوانية كاستجابة للإحباط كنتيجة لعملية التعلم أكثر من كونها دافعا فطريا (Innate drive) .

فالأسرة بحكم بنائها ووظيفتها، يمكن أن ينظر إليها على أنها محبطة بطبيعتها بالنسبة لأعضائها. ومن بين بعض الإحباطات الملازمة لها أعباء تربية الأطفال المشكوك في فعاليتها، وصعوبة حل المشاكل بمجرد الرحيل وتوزيع الأدوار.

1- أنها لا تفسر الظروف التي يؤدي بموجبها الإحباط إلى العدوانية.

2- إن الإحباط يمكن حله في بعض المجتمعات بإتباع الانسحاب السلمي.

3- وأخيرا فإن هذه النظرية لا تفرق بين العدوانية الجسدية وسوء المعاملة اللفظية والعدوانية.

- نظرية التعلم الاجتماعي التي تفترض أن السلوك العنيف عبارة عن ظاهرة يتعلمها الفرد. وعند تطبيق المقاربة التي تقترحها نظرية التعلم على العنف داخل الأسرة، فإنها ترى بأن الأسرة تكون بمثابة حقل تدريب على العنف.

- نظرية الموقف الذاتي التي جاء بها (Kaplan) سنة 1972 هي عبارة عن تعديل لنظرية التعلم الاجتماعي. حيث تقترح أن الأفراد الذين ينقصهم احترام الذات (lack of self esteem) ينظر إليهم على أنهم ينزعون إلى تبني أنماط انحرافية كوسيلة للحصول على الاهتمام من قبل الآخرين ومن ثم بلوغ موقف ذاتي إيجابي. إلا أن نقائصها تكمن، مثل غيرها من النظريات، في عدم كفاية اقتراحاتها في عملية تفسير المستوى العالي للعنف داخل الأسرة، ولماذا يكون أفراد الأسرة ضحايا للأفراد الذين مروا بتجارب الاستهانة بالذات.

• نظرية البرتقالة التي تعمل عمل الساعة التي تفسر مجموعة واسعة من الأفعال العنيفة التي ترجع سبب العنف إلى الضجر والسأم، ودافع البحث عن الإثارة (Thrills) أو التماثلية المفرطة. إلا أنه يمكن استبدال الجملة التي مفادها أن " الضغط" المنخفض يؤدي إلى الإحباط" بالجملة التي مفادها أن " نقص التحفيز يزيد الضغط والضغط يؤدي إلى العنف تحت ظروف معينة".

• نظرية التبادل التي مفادها أن الفرد الذي يقدم خدمة المكافأة إلى الآخر يلزمه بتحقيق التزامه، وأن الشخص الثاني ملزم بتقديم النفع للشخص الأول. لا يتلقى نشاط شخص ما المكافآت التي يتوقعها أو يتلقى عقابا لم يتوقعه، فإنه في هذه الحالة يصبح غاضبا ومن ثم فإن السلوك العدواني يصبح مجزيا. و يمكن رؤية الأفكار المتمثلة في التبادلية والبدائل (Reciprocity and alternatives) والعدالة التوزيعية (Distributive justice) في حدوث سوء معاملة الأطفال، حيث يقوم بعض الأطفال بتقديم طلبات مفرطة من والديهم بحكم الظروف الاجتماعية. إن الوالد و الوالدة يمكنهما اللجوء إلى العنف سواء بقليل من البدائل أو عدمها ودرجة عالية من عدم الرضا تجاه العلاقة بينهما. ولكن، كما هو الحال في العديد من النظريات الأخرى، فإن سبب تبني الاستجابة العنيفة ( في مقابل بعض الأفعال الأخرى) لا تفسره نظرية التبادل.

• نظرية العزو حيث يشير مصطلح " العزو" (Attribution) كما جاء في عمل (Bem & Kelley. 1967, 1970, 1971)) إلى العملية الاستدلالية أو العملية التصورية للخواص الترتيبية للكينونات. حيث بين العالم Hotaling, 1974 عملية الجمع بين القواعد الأسرية والخواص البنائية للأسرة التي تؤدي إلى الاحتمال العالي لكون أحد أفراد الأسرة يعزو القصد السيئ لأفعال فرد آخر من الأسرة.

إننا نتفق مع أهمية فهم العملية التي بموجبها يعزى القصد السيئ الذي يمثل الأساس (Malevolent intent is imputed) الذي بموجبه يوصف فعل الشخص على أنه عدواني.

إن كل من النظرية الرمزية ونظرية التعلم الاجتماعي يمكن أن تساعدنا في فهم الربط بين هذين المفهومين المعرفيين النقديين للعدوانية (القصد والعزو) . فعندما يقوم الطفل بفعل يسفر عن إحداث ضرر، فإن قصدا مضرا يمكن أن يعزى من قبل الآخرين على الرغم من أن ذلك لم يكن جزءا من هدف الطفل.

يشمل المدخل الاجتماعي- الثقافي ست نظريات حول العنف هي:

• النظرية الوظيفية حول العنف التي تقترح بأنه، على الرغم من أن العنف يحدث جروحا، فإنه يستوفي بعض الوظائف الاجتماعية. إن العنف يخدم ثلاثة وظائف أساسية هي:

1- يمكن أن يعمل العنف بالنسبة للفرد كحقل للإنجاز.

2- للمجتمع المحلي كإشارة خطر،

3- وبالنسبة لغير المشاركين فيه أو الملاحظين كفعل محفز. نأخذ حالة الأسرة التي تكون فيها مشكلة خطيرة بين الزوج والزوجة، ولكن الزوج لا يرغب في الاستماع، أو لا يتلقى الرسالة أو يتجاهلها ويتجاهل المشكلة كلية. فتصبح الزوجة يائسة فترميه بشيء ما أو تضربه.

- نظرية ثقافة العنف التي مفادها أن الاستعدادات العدوانية للشخص العنيف هي نتيجة المشاركة في تلك الثقافة الفرعية وعملية التعلم منها. وبتطبيق نظرية ثقافة العنف على الأسرة، يمكن اعتبار الأسرة أرضية تدريب على العنف، طالما هي وحدة أساسية لنقل الثقافة الفرعية . لذا، فإن أفراد الأسرة يتعلمون مع الزمن بأن العنف الموجه ضد الزوجات والأطفال مقبول، وذلك من خلال تعاملهم مع بعضهم. ، يمكن اعتبار نظرية ثقافة العنف امتدادا لافتراضات نظرية التعلم. إن نظرية ثقافة العنف لا تسعى إلى تفسير كيفية ظهور قيم الثقافة الفرعية، ولا تفسر كيف يمكن إصلاح هذه القيم أو تغييرها مع مرور الوقت. ولذلك، يكمن فشل هذه النظرية في التعامل مع مسألة مصدر تكون الثقافة الفرعية ليمثل أهم قصور لها.
- النظرية البنائية للعنف التي تفسر حدوث العنف كنتيجة للتوزيع التفاضلي لبعض الأسباب الأساسية المؤدية إلى وقوعه (الضغط النفسي والإحباطات الخ...).
- نظرية الأنساق العامة التي تعنى تأثير التغيرات في بعضها البعض. ومثل ذلك عندما يصبح الشخص السمين قلقا (Anxious) بخصوص مظهره ثم يأكل كأسلوب للتعامل مع قلقه، فيزداد وزنه أكثر. وعملية الضبط (العملية السبرانية) "cybernetic process" تمثل قلب نظرية الأنساق العامة. وتشمل عملية المراقبة (Monitoring process) أو العملية المعلوماتية (Information process) بعلاقتها بأهداف أو أغراض النسق. لذا ، فإن عملية الضبط تشمل جمع وتفسير المعلومات حول حالة النسق. كما تشمل مقارنة هذه المعلومات مع أهداف محكية (Criterion goals) ،فيتم القيام بالعمل الإصلاحي (في هذه الحالة العنف). وذلك من أجل الحفاظ على الهدف.

إن تطبيق (Strauss) نظرية الأنساق العامة يسعى لتعليل هذه الأخيرة كنظام تأقلمي يسعى لبلوغ أهداف. و يعتبر العنف نتيجة هذا النظام أكثر من كونه نتيجة لمرض فردي.

فإن النموذج السبراني (Cybernetic model) يفترض أن الأنساق تحاول الاحتفاظ بالمتغيرات الأساسية ذات الطابع النسبي في التغير... و يكون التركيز حول ما هي المتغيرات الأخرى التي لا بد من تغييرها من أجل عمل هذا الأخير.

- نظرية الصراع التي مفادها أنه من المحتمل أن يحدث العنف في الأسرة كنتيجة لوجود صراعات، وذلك لأن العنف هو عبارة عن أسلوب قوي يدفع المصالح إلى الأمام عندما تفشل الأساليب الأخرى. بل قد يكون الأسلوب المفضل عند بعض الأسر.
- نظرية الموارد داخل الأسرة التي تقول أن الفرد يلجأ إلى استخدام العنف كمورد عندما تكون موارده الأخرى غير كافية أو نادرة. لذا، فإن الزوج الذي

ليس لديه إلا قليلا من التعليم، ومهنة ذات مكانة متدنية، ودخل منخفض، ويفتقر للمهارات في التعامل مع الأشخاص، يلجأ إلى ممارسة العنف إذا أراد أن يفرض هيمنته على أفراد أسرته.

وكما جاء في مناقشة النظرية الوظيفية، فإن أعضاء الأسرة بوصفهم ضحايا يلجأ ون إلى العنف لرفع الضيم (Redress grievances) عندما تكون مواردهم البديلة قليلة. فعلى سبيل المثال، فإن الزوجة التي تجد نفسها وجها لوجه مع زوج يتجاهل باستمرار أشياء مهمة بالنسبة لها أو لقيمتها، يمكنها أن تجلب انتباهه بالقوة وذلك برميه بشيء ما.

النظريات التي تناولت موضوع نمو الشخصية عند الطفل:

- نظرية التحليل النفسي التي تعتمد على الافتراض الذي مفاده أن معظم السلوك البشري يتأثر بدوافع لا يكون الفرد واع بها. أن الذين يفشلون في تكوين الأنا الأعلى يكونون دائما عدوانيين تجاه رموز السلطة. إن المجتمعات التي تتصف فيها وسائل الانضباط "بالحب" أدت إلى إنجاب أشخاص بالغين لا يحسون بالذنب. إن الأطفال الذين هم أكثر عرضة لتأنيب الضمير ينحدرون من أسر تكون فيها العلاقات نسبيا شديدة. كما أن النمو الأخلاقي لا يمكن تمييزه عن نمو الشخصية.
- نظرية نمو الشخصية التي مفادها أن الصراع النفسي الأول للطفل له علاقة بتطور الحس المتعلق بـــ" الثقة الأساسية من عدمها" (Basic trust or mistrust) التي يضعها في أمه والعالم الذي تمثله. حيث أن فشل الطفل في تكوين الثقة الأولية يمكن أن ينبثق من صفاته الشخصية أو الصفات الشخصية للأم التي يتخلل تعاملها مع الطفل الرقة واللطف ورضا الطفل على تلبية حاجاته. ويسمي هذا النوع من الصراع بـــ : "المستقل مقابل الشك" Autonomous versus doubt. أما الصراع الثاني الذي يسميه " المستقل مقابل الخجل والشك " Autonomous versus shame and doubt، فيتعلق بإتقان الطفل على الواجبات الأساسية المحددة من قبل المجتمع (Major tasks specified by society).

كما يرى Erickson أن التنشئة الاجتماعية و عملية تكون الشخصية عند الطفل يمتدان من لحظة الولادة حتى سن الرشد. في حين أن فرويد يحدد نمو الشخصية من فترة الولادة إلى النضج الجنسي. كما يربط ( 1959) Erickson مفهوم الذات مع نوعية عملية التنشئة الاجتماعية. بمعنى أن الطفل يكون فكرة حول الصورة الحقيقية التي يكونها الآخرون حوله، وذلك من خلال تفاعله اليومي مع أعضاء المجتمع.

نظرية التعلم الاجتماعي التي تقول أنه إذا كان الأطفال يعتقدون أن الآخرين يجدونهم أذكياء (Bright) ويقظين، فإنهم يشعرون بالاعتزاز. أما إذا كانوا يظنون بأن الآخرين يجدونهم غير بارعين (Clumsy) وبطيئي التعلم فإنهم يشعرون بالخجل. حيث يؤول الأطفال الاستجابات نحوهم ويستعملونها لتكوين الشعور حول أنفسهم (The looking-glass process).

إن العقل والذات ينموان من خلال التعبير عن الأفكار والنطق بها. تؤكد الدراسات بأن شعور الطفل بالانتماء والأمن وقبوله من قبل المجتمع وكذلك التربية الحسنة هي بمثابة عوامل مهمة بالنسبة لنمو شخصية الطفل ونموه البيولوجي.
إن احترام الأشخاص المستقبلي للقواعد الاجتماعية والأسرية هي حقيقة تجسد (Illustrates) قدرة الأنا على الفوز الذي هو عادة ما يكون تابعا بعد ما كان مستقلا بصفة اعتيادية. وعلى عكس ميد، فإن Gordon Allport يرى، أن كل فرد فريد وقادر على الاستجابة بصفة غير متناهية لضغوطات المجتمع بطرق ابتكارية مثيرة للإعجاب.
ويزعم Maslow أن أي مراهق أو راشد يعطي قيمة (Values) للشعور بالثقة بالنفس Self confidence، والقوة والتحكم في الوضع. ومن ثم فإن منع الفرد من هذه الحاجات، يفرز لديه الشعور بالدونية والضعف والعجز (helpnessness). حيث افترض أن الكبار الناضجين الذين أشبعت حاجاتهم الدنيا يظهرون الرغبة في تحقيق الذات (Self actualization).
وتلخيص حجة Bandura في كوننا نتعلم ما هو مثاب عليه وما هو معاقب عليه. حيث تكون استجاباتهم(Responsiveness) محددة بعوامل ثلاثة.
يتمثل العامل الأول في خصائص النموذج الذي يتعلم منه، الذي يتمتع بأعلى مكانة واعتبار وسلطة (قوة).
أما العامل الثاني فيتمثل في خصائص الملاحظ (Observer attributes). حيث أن الذين تم ثوابهم من قبل لقاء تقليدهم وأولئك الذين لهم احترام ذات منخفض أو حاجات تبعية عالية يكونون أكثر رغبة من غيرهم في تقليد ذلك النموذج.
أما العامل الثالث فإنه يتمثل في نتائج أفعال النموذج( Role model). ويستجيب الأطفال الصغار للتعزيزات الجسدية بسرعة (Physical reinforcement)، في حين أن الأطفال الأكبر سنا يستجيبون للمكافآت الاجتماعية مثل الثناء والعتاب.
وفي الوقت الذي تشرح فيه نظرية التعلم الاجتماعي كيف يتعلم الفرد الأفعال الأخلاقية، فإن نظريات الشخصية تبحث في ماذا يتعلم الفرد خلال فترة تربيته الأخلاقية. كما أن نظرية عملية التعلم الاجتماعي تهتم بصفة أساسية بالعملية في حد ذاتها، بينما نظرية الشخصية تبحث في المحتوى وبذلك تكونان مكملتين لبعضهما.

- نظرية النمو العقلي حيث يعتقد بياجي Piaget بأن هناك فروقا حقيقية في الطريقة التي يفكر بها الأطفال في المراحل المختلفة من النمو. وبالنسبة لعلماء الاجتماع، فإن قيمة عمل بياجي في مجال النمو العقلي يكمن في تركيزه على التفاعل الاجتماعي كأساس لاكتساب المواقف والاتجاهات الأخلاقية، وكل فرد يتعلم من أوضاع معينة بطريقته الخاصة. وتكون نتيجة ذلك عدد لا متناهي من النماذج الشخصية بين مجموعة الأفراد المتفاعلين الذين يتكون منهم المجتمع.

وتنحصر المشكلة في أن منظري التعلم لا يفرقون بين السلوك الأخلاقي وأي نوع آخر من السلوك.

• نظرية التطور الاجتماعي التي تقول أن الطفل يبني انطباعه عن نفسه من المحيط الكلي للأشخاص الذين ينمو معهم. فالتعلم الطبيعي، هو إذن مفتاح كل مشكلات الفترة الأولى للنمو. وهذا التعميم يمكن تصنيفه بثلاث طرق :
أولا: أن الآبـــاء الذين يتسمون بالدفء والحنان ولكـــنهم متشددون يكـــون أبنـــاؤهـــم شديدي الطاعة (Very compliant).
ثانيا : إن طبيعة العلاقة تكون سلطوية بلا جدال.
ثالثا :أن الأطفال المتعلقين بوالديهم يصبحون ميالين (Disposed) بصفة إيجابية للسلطة ويميلون بعفوية إلى الامتثال للقواعد في فترات حياتهم اللاحقة.
ومن وجهة نظر التطورية الاجتماعية، إن الاستقلالية يكمن بلوغها في المراهقة من خلال دمـــج (Incorporation) الدروس المستقاة من التجربة الاجتماعية السابقة في أيديولوجية أخلاق دينية، سياسية، إنسانية أو علمية ذات نظره عالمية.
وبمعنى أدق حسب Baumrind (1971)، يبدو أن الاستقلالية تنتج عن الوالدين اللذان يتصفان بالدفء والشدة (سلطويين) واللذان يمثلان كذلك نماذج ناضجة من الاستقلالية. ومن ثم فإن الأسرة لها الدور الطبيعي في بناء شخصية الطفل من خلال التأثير عليه أثناء التفاعل اليومي، تجعل منه "شخصا اجتماعيا"" A social person.
التنشئة الاجتماعية والأسرة التي تقول أنه من خلال التفاعل الاجتماعي مع أعضاء المجتمع وعملية التنشئة من قبل الأسرة يكتسب الطفل نماذج سلوكية سوية وأفكار وأحاسيس. حيث يقول خوج وعبد السلام بهذا الصدد: فإذا شعرت الأسرة بأهمية هذه الحاجات والرغبات وقامت بتلبيتها بالطريقة المشروعة ورافقت ذلك بتقديرها وحبها للطفل، فإن الطفل يحب نفسه أولا ويشعر بأنه شخص له قيمة إنسانية بين أفراد أسرته وبالتالي يكون إحساسا موجبا عن نفسه وعن أسرته.
تلعب الأسرة دورا أساسيا وأوليا في عملية التنشئة الاجتماعية. ومن ثم تبقى الأسرة المثل الأعلى لنماذج السلوك والتفاعل الاجتماعي اللذان يؤثران بطريقة سلبية أو إيجابية من خلال نماذج تربية الأبناء. إن هذه العوامل السلبية تجعل الطفل يشعر بحرمان عاطفي ونفور يلازمه منذ حياته الأولى ويدفعه إلى هجرة أسرته باحثا عن العطف والرعاية البديلة. وتعد سلامة شخصية الأبوين مؤشرا - إلى درجة كبيرة - على سلامة شخصية الأطفال.
وبهذا الصدد، يقول Peter Berger إن المجتمع لا يراقب حركاتنا فقط ولكنه يشكل هويتنا، وأفكارنا وانفعالاتنا.
إن كل ما سبق يلخص جيدا أهمية العوامل البيولوجية والبيئية في نمو شخصية الطفل. إن المسئول في التكوين الو راثي للفرد هما الأبوان وبالتالي فهما مسئولان عن تكوينه الجيني وتكوينه البيولوجي والفسيولوجي. فشخصية الآباء ووجودهم وأسلوب تنشئتهم من المحددات الأساسية في ظهور وتكوين السلوك السوي لدى الأطفال. فعندما يربي الطفل بالحب والعناية والاهتمام، أي تلبية احتياجاته ورغباته

الأساسية، فإنه كنتيجة لذلك يحس بثقة كاملة ورضا تامين. وهذا الإحساس بالرضا والقيمة الذاتية تجعله يفرق (Discern) بين ما بإمكانه إنجازه وحدوده الحقيقية.
وكذلك، فإن هذا الإحساس بالقيمة الذاتية سوف يبقى عميقا في داخله لوقت طويل. حيث يؤثر على علاقاته المستقبلية مع جماعة أقرانه وأعضاء المجتمع بطريقة إيجابية. وبهذا الصدد، فإن Baumrind تحاول البرهنة على أن كل من طبيعة القواعد والطريقة التي من خلالها يتم تلقين هذه القواعد لهم من قبل الوالدين تخلف آثارا على الأطفال.

وبناء على ما تقدم من تراث نظري حول نمو شخصية الطفل، يمكن القول أن هذه النظريات تكمل بعضها بدلا من مناقضه بعضها البعض، وذلك لكونها تهتم بظواهر مختلفة. ففي الوقت الذي نجد فيه نظرية النمو العقلي تناقش تغيرات الفكر الخلقي ذا العلاقة بالعمر، فإن النظريات الأخرى تعالج التغيرات في السلوك الأخلاقي. حيث تقدم نظرية التعلم الاجتماعي تحليلا دقيقا ( A fine-grained analysis) حول كيفية تعلم الأفعال الخلقية وكيفية الاستمرار في أدائها مع مرور الوقت. في حين تهتم نظريتا التحليل النفسي والتطور الاجتماعي بما يتعلمه الأطفال خلال نموهم العقلي، بدلا من كيف يتم تعلم ذلك.
كما تبحث نظرية التحليل النفسي في تطور اتجاهات الأطفال تجاه السلطة، في حين أن منظري التطور الاجتماعي يحللون أصول اتجاهات الطفل تجاه السلطة، ولكنهم يذهبون إلى أبعد من ذلك ليقدموا وصفا حول كيفية حدوث الاتجاهات نحو الأقران والمحتوى الأيديولوجي للثقافة.

إن هذه النظريات مجتمعة تقدم تفسيرا ملائما ومعقولا حول جوهر التطور العقلي والثقافي للشخصية.

**III- الإجراءات المنهجية:**

1- **تصميم أدوات جمع البيانات**:

اعتمدت هذه الدراسة بشكل أساسي على استبيانين صمم الأول لجمع البيانات لعينة من الأطفال. وقد تضمن **63** سؤالا. وصمم الاستبيان الثاني ليطبق على أمهات هؤلاء الأطفال. وقد احتوي على **30** سؤالا.

2- **مجتمع الدراسة** :

بما أن موضوع الدراسة يدور حول سوء معاملتهم أثناء تنشئتهم فإن مجتمع الدراسة اشتمل على أطفال المدارس الإكمالية والثانوية وأمهاتهم.

3- **عينة الدراسة** :

لما كان المستشارون يعرفون جيدا جميع التلاميذ الذين يتسمون بالسلوك العنيف أو العدواني وذلك لكونهم يطلعون على ملفات هؤلاء التلاميذ، تكفل المستشارون بتوزيع استمارات البحث على التلاميذ المعروفين بكثرة الشغب داخل المؤسسة التربوية وعدم احترام قانون المؤسسة الداخلي، وكثرة الغياب والشجار المتكرر مع معلميهم، وأقرانهم والمراقبين، والتمرد على أوليائهم أو غيرهم من معلمين

ومراقبين وذلك بإتباع أسلوب المعاينة العمدية أو القصدية . كما تم توزيع الاستمارات على أمهات هؤلاء التلاميذ من المستشارين كذلك.
وبالإضافة إلى أسلوب المعاينة العمدية، استخدمنا أيضا مبدأ المعاينة الحصصية وبذلك شملت العينة تلامذة مستوي المرحلة المتوسطة والمرحلة الثانوية.

أما فيما يتعلق بالتلاميذ الذين يتسمون بالهدوء والسلوك غير العنيف، حسب وجهة نظر مستشاري التربية والأولياء، فقد تم سحب عينتهم مع عينة أمهاتهم بالاستعانة بالمعلمين والأولياء وذلك باستخدام طريقة المعاينة العشوائية الطبقية غير المتناسبة وهذا، لأن أفراد المجتمع، رغم تجانسهم من حيث الخصائص الشخصية ، كانوا مختلفين من حيث المستويات التعلمية التي اشتملت على المرحلة المتوسطة و المرحلة الثانوية.
وبناء على ما سبق، تم اختيار **200** مفردة من أطفال يدرسون بمتوسطة بابو محمد الشريف وثانوية وادي القبة الجديدة وثانوية مبارك الميلي وثانوية القديس أوغسطين وأمهاتهم. وبذلك تم سحب **100** طفل يعتبرون عنيفين و**100** طفل لا يعتبرون عنيفين وأمهاتهم.

**IV- <u>نتائج البحث الميداني</u>:**

فيما يتعلق بالفرضية التي تعالج ما إذا كان تعرض الأطفال للأساليب التربوية العنيفة يؤدى إلى تكوين السلوك العدواني لديهم، فإنه يتبين من البيانات الإحصائية أن معظم أفراد عينة الأطفال الذين تعرضوا لسوء المعاملة (العقاب أو الشتم أو اللوم أو الضرب) عند قيامهم بسلوك غير مقبول، فنجدهم يتصفون بسلوك عنيف. بينما نجد معظم الأطفال الذين يعاملون بأساليب غير عنيفة، سلوكهم غير عنيف.

وبناء على ما سبق، يمكن اعتبار الأسرة التي يمارس فيها العنف أرضية لتدريب الأطفال على ثقافة العنف لكونها وحدة أساسية لنقل الثقافة الفرعية.

أما بخصوص الفرضية الثانية التي تعالج مدى انعكاس أسلوب التربية الذي تربى عليه الوالدان على أسلوب تربيتهم لأطفالهم، فيتبين من خلال الدراسة الميدانية أن الأمهات اللواتي تعرضن للعقاب في الصغر يلجأن دائما إلى أسلوب التوبيخ والعقاب الجسدي في تربية أطفالهن. بينما الأمهات اللواتي لم يتعرضن للعقاب في الصغر يلجأن إلى أسلوب الحوار مع أطفالهن ولكن يملن إلى أسلوب التوبيخ والشتم مع الأطفال الذين يتسمون بالعدوانية.

كما يتضح من خلال الدراسة الميدانية أن هناك علاقة قوية بين الأثر الذي يتركه القلق و الإرهاق على الأم و أسلوب تربيتها لأبنائها. حيث يتبين أن الغضب أو اللجوء إلى الصراخ من جراء الشعور بالغضب الشديد يجعل الأم تميل إلى استخدام التوبيخ و الشتم. بينما عندما تظهر الأم سلوكا آخر غير الغضب مثل التشدد أكثر أو التزامها الصمت أو خروجها من البيت للهروب من مواقف الإحباط و شدة الضغط، فتفضل التحاور مع الطفل.

وبناء على ما تقدم، يمكن القول أن الاعتداءات المحطمة للأطفال تنتج عن اضطرابات معقدة في الشخصية الو الدية المصاحبة للمعاملة السيئة لأطفالهم. كما

تنتج من الضغط البيئي الناجم عن الشعور بالقلق والإرهاق والتعب. كما يمكن في الوقت ذاته أن يكون متجدرا في مواقف معززة ثقافيا، وأن كل هذه العوامل تكمل بعضها البعض.

وفيما يتعلق بالارتباط بين وجود مشكلات أسرية وممارسة العنف ضد الأطفال، يتبين أن هناك علاقة عكسية بين هذين المتغيرين. حيث أن معظم الأمهات اللواتي تعانين من مشكلات حقيقية داخل الأسرة، تعاملن الأبناء بالحوار. بينما معظم الأمهات، اللواتي لا تشتكي من أية مشكلات أسرية، تعاملن الأبناء كالعادة بالتوبيخ والعقاب الجسدي.

وهذا يدل بطبيعة الحال على أن وجود مشكلات حقيقية يؤدي إلى تهدد استقرار الأسرة. كما يجعل الأم حذرة أكثر ومتسامحة مع الأطفال، وهذا ما يجعلها تتفادى تفاقم الأوضاع أكثر. حيث يرتكز جهدها بشكل كلي في إيجاد حل سريع للمشكلات التي تعانى منها الأسرة والتي ربما تكون أكثر خطورة في الوقت ذاته من عملية مرور الطفل بنزوة عابرة أو بتمرد متعلق بفترة المراهقة الذي عادة ما يزول مع نضج الطفل.

وأخيرا، يتبين من خلال فحص البيانات الميدانية التي تدرس العلاقة بين ممارسة الأسرية للأساليب التربوية العنيفة وعلاقة الطفل بأقرانه ومعلميه، أن معظم الأطفال الذين يتعرضون لأسلوب الشتم أو لأي نوع من أساليب العنف مثل التوبيخ أو الضرب أو الشتم من قبل أمهاتهم أو آبائهم, تكون علاقتهم بأقرانهم عنيفة وعلاقتهم مع معلميهم سيئة.

**الخلاصة:**

يتضح من الدراسة أن الأولياء الجزائريين يميلون أكثر إلى استخدام العنف المعنوي كالشتم واللوم عند وقوع أبنائهم في الخطأ أو في حالة عدم الطاعة والعصيان.

إن ضرب الطفل وخاصة المراهق وإهانته أمام الآخرين يعلمه الطاعة العمياء بدلا من المناقشة وتقبل الأخطاء عن اقتناع، كما يعطي نموذجا سيئا للإقتداء. حيث يصبح الطفل يعبّر عن مشاعره بنفس الأسلوب الذي تعلمه في الصغر، وأخيرا يزيد الطفل عنادا عوضا أن يمحو هذا السلوك غير المرغوب فيه. وأخيرا يكون جدير بالذكر أن أسلوب القسوة والضرب يولد الكراهية والنفور ويعلم الطفل استخدام العنف في البيت وخارجه ويجعله شخصا قاسيا وعنيفا مع زوجته وأولاده في الكبر وبالتالي يمكن أن يهّدم البيوت ويشرد الأطفال ويوّلد لديهم الإحساس بالخوف والرهبة وعدم الاستقرار.

Foot notes:

1- Bender David and Bruno Leone, series editors, child abuse – opposing viewpoints, Green haven Press, Inc, San Diego, Ca, 1994, P115.
2- Harry F. Harlow, in Lloyd and Mack Pease, Sociology and social life, 6th Ed, D. Van Nostrand Company, NY, 1979,PP136-137.
3- F. Gene Acuff, D. E. Allen and Lloyd A. Taylor, From man to society, the Dryden Press, USA, 1973, P94.
4- Ibid, Lloyd/ Mack/ Pease, P131.
5- Richard Farson, A lack of community ties causes child abuse in D.Bender and B. Leone, child abuse – Opposing viewpoints, Green Haven Press, Inc, P104, 1994.
6- Pierre verdier, L'enfant en miettes, 4th Ed, Dunod, paris, P143, 1997.
7- Elaine Landau, Many factors contribute to child abuse in D. bender and B. Leone, Series Ed, Green Haven Press, Inc, P115, 1994.
8- Dahrendorf, Ralf: Class and class conflict in Industrial society, Stanford University, Press, 1959, P231.

9- العنف الأسرى – من يدين من؟! نعيمة محمد يحي، مودة، مجلة أسرية فصلية، العدد الثالث عشر – رجب 1422/أكتوبر 2001، ص7.
10- القاموس الجديد للطلاب، معجم عربي مدرسي، الشركة التونسية للنشر والتوزيع، المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب، 1984، ص131.

11- A dictionary of social sciences, English-French-Arabic, Librairie du Liban, Beirut, 1978. P311.

12- د.جميل صليبا، المعجم الفلسفي، الجزء الأول، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982، ص692.
13- نفس المرجع.
14- محمد عاطف غيث: مدخل إلى علم الاجتماع، ط4، دار المعرفة الجامعية، إسكندرية، 1988، ص374.
15- 16 -نفس المرجع.

Bibliography:

1. Angélino Inès, L'enfant, la famille, la maltraitance, Dunod, Paris, 1997.
2. Bandura, A and R.H.Walters, Social Learning and Personality Development, 254-58, New York: holt, Rinehard and Winston, 1969, Reprinted in Steinmetz and Strauss, 1974.
3. Bender David and Bruno Leone, series editors, child abuse – opposing viewpoints, Green haven Press, Inc, San Diego, 1994.
4. Berger Maurice, L'enfant et la souffrance de la séparation, Dunod, Paris, 1997.
5. Bongrain M, Le travailleur social et l'enfant maltraité : enjeux d'un face à face, édition L'harmattan, 1994.
6. Camdessus B, L'enfance violentée, Paris, ESF éditeur, 1993.
7. Cooley C, Child maltreatment: Testing the social isolation hypothesis, Child abuse and neglect, 1996, 20(3): 241 – 54
8. Corcoran Jacqueline, Family interventions with child physical abuse and neglect: A critical review, Children and youth services review, Vol 22, No7, 2000, PP563-591.
9. Dean Dorothey, Emotional abuse of children, Children today, July – August, 1979, PP18-21.
10. Elaine Landau, Many factors contributes to child abuse in D. Bender and B. Leone, Series Ed, Child abuse – opposing viewpoints, Green haven Press, Inc, 1994.
11. Fontana V.J and V. Moolman, A violent society causes child abuse in D. Bender and B. Leone, Series Ed, Child abuse – Opposing viewpoints, Green Haven Press, Inc, 1994.
12. Verdier Pierre, L'enfant en miettes. L'aide sociale a l'enfance: Bilan et perspectives d'avenir, Editions Privat, 1993.